(٦٣)

"سلام بالإكراه"

بدأ بالسلام بعدما خرج من شقته مُغلقًا بابها، ومُهمًا بالنزول على درجات السلم غير ناظرٍ إلا إلى أسفل، ومكتفيًا بإلقاء السلام على جاره المسن دون أن يَرَى منه وجهه أو حتى مقدمة جسده.

ولكن جاره المسن لم يردّ عليه ذلك السلام، فسارعه بصيحة سلامٍ آخر ولكن هذه المرة بصوتٍ أعلى يكسوه التأنيب المتسلط ومحاولة التهذيب المتحدية لمن تجرأ ألا يردّ عليه تحية السلام من المرة الأولى. فقال له بعصبية ونبرة مُستفِزَّة: "ما ترد السلام يا أخى ... رُدّ السلام يا حاج !!"؛ وفى أثناء ذلك كان جاره المسن قد بدأ بالفعل الرد عليه بهمةٍ .. قائلاً له: "وعليكم السلام ورحمة الله"، ولكن جاره لم يسمعه لأنه كان متربصًا به ومسرعًا بتعنيفه على عدم ردّ السلام عليه فى المرة الأولى.

وفورًا أدرك الجار المسن مدى التعنيف الذى بدر من جاره الأصغر منه عمرًا ومكانة، وإلقائه السلام عليه بصيغة آمرة ومنفرة، فى حين أنه كان قد انتهى بالفعل من رد سلامه الثانى والذى استطاع أن يسمعه بخلاف السلام الأول، الذى لم يستطع سماعه نظرًا لضعف سمعه. فلم يكن منه إلا أن أعقب

سلامه عليه مندهشًا من سلوكه معه قائلاً له باستنكار: "أنا بالفعل أقول لك وعليكم السلام ورحمة الله".

وانتهت بذلك تحية الإسلام المعروفة بالسلام بين الجارين، بينما كاد الجار المبادر بالسلام – والمشتعل غضبًا – مستمرًا فى نزوله السلم مرددًا كلمات غاضبة غير مسموعة وغير مفهومة.

وأثناء نزول الجار المسن فيما بعد على درجات السلم ببطءٍ – كعادته – أخذ يحدث نفسه عما صدر من جاره الذى اتضح تربصه له، والذى اهتم بأداء "فرض" أو "واجب" السلام، ولم يلتفت إلى أنه لم يلقِ ولو نظرة واحدة مسالمة على وجه جاره المسن، ولم يلتمس له أي عذر لعدم ردّ السلام عليه فى المرة الأولى؛ بل بدا كالمتربص بفريسته المترقب منها أى خطأ ليكون ذلك مبرّرًا له بأن يلقى عليه قذائف كلماته الغاضبة البعيدة كل البعد عن نية السلام والمسالمة والتسالم، والمُنمة عن حقدٍ دفين وغضبٍ مكتوم تجاه جاره، واللذين يسترهما بتحية سلام مصطنعة تخرج من تحت الضرس كأداء لواجبٍ تفرضه اللياقة أو يحبذه الدين الذى يعلن وجوب الخيرية لمن بدأ بالسلام.

وأيقن الجار المسن وهو يُحدِّث نفسه أن جاره إذا كان غير متمسكٍ بآداب إلقاء السلام على خير وجه سرًا وعلنًا، فإن ذلك مرجعه هو عدم تفهمه لمعنى السلام ومغزاه، إذ أن المبادرة بإلقاء تحية السلام على من تعرفه ومن لا تعرفه تمنح القلب السكينة وتُخلص النفس من أية ضغائن أو أحقاد، فإن صدقت

السريرة، سيخرج سلام المرء الداخلى عن طريق لسانه لينتقل إلى من حوله بسلاسة وارتياح، أما فى حال كان الهدف من إلقاء تحية السلام هو الظهور بمظهر لائق يستحسنه الناس مع إخفاء المشاعر الكارهة للغير، فعدم صدق ذلك السلام سيكون على العكس هو السبب الرئيس فى تفجير الغضب الكامن. وإن كان بالفعل الهدف من إلقاء تحية السلام هو نيل الثواب من الله وليس انتظار الرد عليه من الناس، فستخلص بذلك النوايا، ولن يدقق أحد فى مراقبة رد فعل الآخرين الذى لن يُقلِّل من الثواب، فى حين ينبع ترقبه من الكِبر الذى يتمكن من أصحابه حينما يتصورون أنفسهم هم الأجدر بالاحترام، والأصوب فى كل فعلٍ يبادرون به حتى لو كانوا غير صادقين فيه.